مظاهر الاحتفالات الدينية في الجزائر خلال القرن الثامن عشر

علي أحمد حسن فرحات
قسم التاريخ- كلية الآداب- جامعة مصراتة

المقدمة :

تتميز الاحتفالات لدينية بمكانتها الخاصة في مختلف المجتمعات، فهي متجذرة في المجتمع منذ نشأته، وليست مرتبطة بنشوء الدول القومية أو ظهور الديانات على اختلاف معتقداتها، بل تعود إلى عمق التاريخ وإلى حياة الإنسان البدائية انطلاقاً من الفكرة التي تقول أن المجتمع هو مصدر الدين، وهو ما يطلق عليه في علم الاجتماع بمصطلح الطوطمية التي تعبر عن الضمير الجمعي للمجتمع البدائي إلى غاية تطوره وظهور الديانات التوحيدية، ولعل كلمة الدين هي المجتمع ينصاغ لطقوسها بكل حواسه.

ونستطيع التنويع بأن الاحتفال بالأعياد الدينية وما يصاحبها من الشعائر والطقوس المختلفة، هي بمثابة إعادة البعث الديني وإبقائه حاضراً في حياة الناس، وتثبيته كعادات يومية أو دورية بفعل عوامل التعزيز والتكرار والتدعيم، ولولا تلك الطقوس ولأعياد والشعائر المختلفة لاختفى الدين من حياة بعض الناس تماماً، ولقد أصبحت هذه المناسبات اليوم تؤدي وظيفة اجتماعية تتمثل في التواصل العام بين أفراد المجتمع وتعزيز العلاقات الاجتماعية.

أولاً: الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

يُعدّ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف من الاحتفالات الأساسية الهامة التي يعطيها أفراد المجتمع أهمية كبرى فهو يمثل أحد المظاهر الدينية الكبيرة، ويرجع هذا الاحتفال إلى قاضي سبتة أبو العباس أحمد بن القاضي محمد بن أحمد اللخمي المعروف بالعزفي 557-633هـ، الذي كان أول من سن هذا الاحتفال بالمغرب الإسلامي وذلك عندما رأى المواسم التي دأب عليها المسلمون ببلاد الأندلس وسبتة والاحتفال بها فكانوا يتابعون فيها المسيحيين فدفعه إلى التفكير في ما يشغل بال المسلمين عن هذه البدع والقضاء على هذه المناكر ولو بأمر مباح فوقع في نفسه أن يذكر أهل زمانه على الاعتناء بالمولد النبوي الشريف ثم رأى أن يلقن ذلك للنشء الصغير فأخذ يطوف على الكتاتيب القرآنية بسبتة ويشرح لصغارها مغزى هذا الاحتفال، وقد انتشرت هذه العادة مع الزمن بين بلدان المغرب وتطورت تطوراً بلغ غايته من الزينة والبهجة في عهد دولة بني عبدالواحد الزيانية وخاصةً عهد أبو حمو موسى الثاني فيحدثنا عنه كاتب بلاطه يحيى بن خلدون قائلاً: أطلت ليلة بالمولد النبوي على صاحبها أفضل الصلة وأزكى التسليم فأقام لها منشور داره العلية مدعى كريماً وعرساً حافلة احتشدت لها الأمم وحشر بها الأشراف والسوقة فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ومشامع كأنها الأسطوانات القائمة على مراكز الصفر المموهة ومن حينا أصبح الاحتفال به يقام في كل ربيع من السنة الهجرية[1].

وقد جاء في الكتابات التاريخية أن الاحتفالات به تبدأ منذ بزوغ هلال شهر ربيع الأول، ففي تلسمان جرت عادة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف مع بزوغه، إذ يصعد نساء تلسمان فوق السطوح ويزغردن عند مشاهدته، وفي الأيام الموالية تخرج البنات اللاتي هنّ دون سن البلوغ أفواجاً وينشدن الأناشيد المعبرة عن هذه المناسبة[2].

[1] لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواحد، ابن النديم للنشر التوزيع، الجزائر، 2011م، ص204.
[2] محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة بن مزيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص373-374.

استلمت الورقة بتاريخ 2 أكتوبر 2019، وروجعت بتاريخ 30 نوفمبر 2019، وقبلت للنشر بتاريخ 2 ديسمبر 2019
ونشرت ومتاحة على الانترنت بتاريخ 26 ديسمبر 2019 www.lam.edu.ly

أما الرجال فإنهم يجتمعون بالمساجد بعد صلاة العصر أو المغرب حول جماعة من الطلبة الذين ينشدون بأصوات وكلمات منظمة في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم- للشيخ العروسي وتدوم القراءة المصحوبة بالصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم- ساعة كاملة أو ما يقاربها[1].

وفي اليوم الحادي عشر الذي يسمى يوم النفقة الأولى فإن البنات الصغيرات يلبسن أحسن ما عندهن من ثياب ويتحلين بأنواع الحلي المختلفة ويتجولن في الأزقة والطرقات، وقد تكررت تلك الزينة يوم السابع الذي هو يوم النفقة الثانية فيعد فيه طعام الثريد ويوم الثامن الذي يسمى يوم التشويشة الذي يخرج فيه الرجال من زواياهم حاملين السناجية ويتوجهون إلى قرية العبّاد لزيارة الشيخ "أبي مدين شعيب" وهم يذكرون الله بأصوات عالية ذهاباً وإياباً مما تثير إعجاب المارة خاصةً أنه كان يصاحبهم ضرب الطبول والمزامير في الطرقات إضافةً إلى الألعاب البهلوانية في وسط الطريق[2].

أما في ليلة الثاني عشر والتي تسمى ليلة الزيادة فيقومون بالاحتفال فهم يعظمون المولد بالذبائح كما يستعملون الطبالين والعياطين، وآلات الطرب في السوق كما يقومون بإشعال الشموع المثبتة في ثريات من اللوح مزوقة بالفنيد والنساء يزغردن عليها ساعة من الزمن ثم يتناولن أطعمة لذيذة وفي الصباح الباكر تحضر النساء طعاماً يدعى التقنتة ويتم إنشاء القصائد المختلفة في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم- لاسيما قصيدتي البردة للشيخ البوصيري – رحمه الله- تتخلل تلك الأناشيد تلاوة القرآن الكريم ودروس في السنة النبوية والوعظ والإرشاد ويبقى الاحتفال إلى طلوع الفجر[3].

وتحدّث ابن حمدوش عن طريق الاحتفال بالمولد، فعند زيارته للشيخ أحمد المبارك السجلماسي بفاس شهد احتفالات أهلها بالمولد النبي فقال: "لقيت الطبالين والعياطين وآلات الطرب كلّها في الوفد، ذاهبين بأربعة قباب من شمع كل واحدة من لون، أحدها خضراء وأخرى بيضاء وأخرى حمراء والرابعة نسيت لونها أخف مما يجعل في الجزائر عندنا"[4].

كما نلقى الأضواء على المجتمع التواتي في هذه المناسبة فنجد ما أحب لديهم من لعبة البارود التي تمارسها وسط الأهازيج الشعبية وما تزال من أشهر الألعاب لديهم، وكان كل واحد من الشبان التواتيين شديد الحرص على امتلاك بندقية للمشاركة بها في هذه اللعبة التي تقام عادةً في المناسبات الدينية والحج والمولد النبوي وذكرى الأولياء وحتى في المناسبات الخاصة كالختان والزواج، فيجتمع رجال البلدة وسط ساحة القصر في لباس أبيض وجميل وصدر مزركش ومعهم بنادقهم وأكياس البارود وعندما يكتمل العدد يشكلون دائرة في وسط الفرقة الموسيقية، وعلى صوت الأهازيج الشعبية التي يتغنى بها الجميع بمصاحبة إيقاع مألوف يصدر عن الطبل والمزمار والدفوف، يدور المتحلقون مضيقين قطر الحلقة تدريجياً وفي أيديهم بنادقهم وقد جعلوا فوهتها إلى أسفل ثم تأتي الإشارة من الموجهين فتنطلق الأعيرة النارية دفعة واحدة وبعدها تتسع الدائرة بالمتلقين مرة أخرى وهكذا إلى وقت متأخر من الليل[5].

---

(1) المرجع نفسه، ص375.

(2) عبدالرزاق بن حمدوش الجزائري، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983م، ص84.

(3) محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص375.

(4) عبدالرزاق بن حمدوش الجزائري، المرجع السابق، ص84.

(5) فرج محمد فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص32.

ثانياً: الاحتفال بحلول شهر رمضان وختم صحيح البخاري:

يعتبر شهر رمضان شهر الرحمة والبركة والإيمان والصيام ففيه فضائل جمّة جعلت من أفراد المجتمع يأخذون كل ما أتيح لهم من العدّة لاستقبله قبل حلوله بأيام عدّة، ففيه تنشرح الصدور تزول البغائض وتُصفّى النفوس من كل أنواع الحقد والكرهية، هكذا كان رمضان في المجتمعات السابقة وكذا اليوم وحتى الغد[1].

يتم الإعلان عن شهر رمضان عند رؤية الهلال فيطلقون طلقة بالمدفع تطلق من القصبة من قصر الداي ومن حصون المدينة ووصفت الكتابات التاريخية طريقة الأكل عند العائلات الجزائرية في هذا الشهر، وتتنوع الأكلات مثل الكعك والحلويات والكسكسي بالزيت يضاف إليه اللحم المقلي والفواكه، والمشلوش والزلابية والبوراك والقطايف والبقلاوة، ولذلك أطلق أحد الألمانيين في كتابه أن شهر رمضان يعتبر موسم للحلويات[2].

استغل شهر رمضان لأداء العديد من النشاطات من غير الصيام، حيث أنه في وسط شهر رمضان يقوم المسلمون وخاصةً الأتراك وغير المسلمين من أصحاب هل الذمة بصنع جمال من القش والخشب ويلفونها بالحايك حتى تصبح تشبه جمال حقيقية، ويتجهون إلى قصور الأغنياء ورجال الدولة المهمين ويلعبون ويغنون ويرقصون حتى يتحصلوا على نقود منهم ثم يتقاسمونها بينهم، فيما يسمى اليوم بالألعاب البهلوانية[3].

كما أن هناك محل آخر يحظى بعدد كبير من الزوار في ليالي رمضان وهو المسرح الشعبي أو القرقوز ومن بين الشخصيات الناطقة شخصية القرقوز الذي يمتاز بضخامة جسمه ومنظره المضحك وسخريته المقذعة، وما يحدث في هذا المسرح يشبه إلى حد كبير ما يحدث في مسرح العرائس الألماني، فالشخصيات تتصارع وتتضارب من البداية إلى النهاية[4].

هذا من جهة ومن جهة أخرى يذكر هاينريش أن الحفلات التي تقام لا تتسم بالصخب والضوضاء، فلا وجود للراقصين والراقصات ولا للموسيقى إلا نادراً فهذه الاحتفالات تقتصر على تناول الأطعمة وتبادل الأحاديث الودية، في حين توجد حفلات وحيدة صاخبة وهي التي حملها الأتراك للجزائريين والتي لاتزال تقام في رمضان وهي حفلات القرقوز التركي التي سبق لنا الإشارة لها، والمسرح القرقوز صورة سيئة جداً فليس هناك عربي مهذب يعترف بأنه قد سبق له أن شاهده[5].

ومن الطقوس المتعارف عليها أيضاً خلال شهر رمضان الاحتفال بسرد وختم صحيح البخاري في المساجد وإضاءة الشموع فيها ويتم ختمه في ليلة القدر يوم السابع والعشرين من رمضان[6] إذ يذكر ابن حمادوش إنه يتم السرد من طرف المملي، فيذكر عندما حضر يوم السبت الثاني عشر قرأ المملي سيدي محمد بن سيدي الهادي فضائل الصحابة حتى وقف على تزويج النبي – صلى الله عليه وسلم- بخديجة بعدها قرأ سيدي أحمد العمالي من غزوة خيبر إلى غزوة الطائف وفي يوم آخر تحدثوا عن حديث البزاق في الثوب وهكذا كل مرة يقرأ أحد المملين مع وجود درس جديد، إذ أن عدد أحاديث البخاري 7275 حديثاً يتم قرائتها مع حلول الشهر إلى غاية أواخره[7].

---

(1) نجاة العجال، الطقوس الاحتفالية في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني 1518 – 1830 م،رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم الاجتماعية, جامعة الوادي الجزائر 2013 – 2014 م, ص66.

(2) هاينريش فون مالتسيان، ثلاث سنوات في شمال غرب أفريقيا، ج3 , ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص59.

(3) نجاة العجال، المرجع السابق، ص68.

(4) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص116-117.

(5) هاينريش فون مالتسيان، المرجع السابق، ص63-64.

(6) أحمد سليماني، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص73.

(7) عبدالرزاق بن حمدوش، المرجع السابق، ص122.

وعقب ختم البخاري في 26 رمضان يقومون بالصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم- كالآتي: "اللهم صلّ أفضل صلة على أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكرك وذكره الذاكرون، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلين" وبعدها يرش الخدم الناس بماء الورد[1].

أما ليلة السابع والعشرين فحسبما ذكر هايدو أن الأغنياء يقومون بالتصدق على الفقراء ومنهم من يضع الأكل حول الدار كي تأكل منها الأرواح الشريرة فتهدأ ولا تؤذيهم، وهي من الخرافات والبدع التي لا تزال منتشرة إلى حد اليوم[2].

ولهذه الليلة منزلة كبيرة عند الجزائريين فيقومون باحتفال خاص وذلك بعد صلاة العصر، إذ يأخذون الشموع في أيديهم ويطوفون بها البلاد وأحدهم ينشد والبقية يرفعون أصواتهم بالصلاة والسلام على النبي ثم يدخلون المسجد فيضعون تلك الشموع ويشعلوهم ويحيون الليل كله إلى الفجر يقرؤون ما تيسر من الفواتح ثم يصلون الفجر فإذا فرغو من التسبيح بعد الصلاة تلو من القرآن حزباً، فعندما ينتهون يأتي موقد القناديل بأحد تلك الشموع فيفتح به كتابه ويقرأ حتى آخر الختم ثم يذكرون "سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" مائة مرة وفي هذه المدة يرشون ماء الورد ثم يشرع الإمام بالدعاء فيقرؤون ما تيسر من الفواتح ثم ينصرفون، فيذهبون إلى قبر سيدي عبدالرحمن الثعالبي فيحضرون ختم البخاري أيضاً على هذه الصفة ويتهيئون للعيد إذ برؤية قرص الهلال في رمضان يعتبر الصيام منتهياً ويحل موعد العيد الصغير[3].

ثالثاً: الاحتفال بعيد الفطر والأضحى:

بعد انقضاء شهر رمضان والطقوس الاحتفالية التي صحبته وكذا الشعائر التي تُليت في ليلة القدر غياب رؤية الهلال وبزوغه من جددي يحل العيد، ففي المناسبات الدينية عيدين هما عيد الفطر والأضحى، فلهما أهمية بالغة عند الجزائريين في العهد العثماني، حيث كانا يمثلان مناسبة اجتماعية كبرى يحتفل بها لعدة أيام[4].

وكانت هذه الأعياد تدعى "البيرم" وهي كلمة تركية الأصل الخاصة بالعطل الدينية فمنها الاحتفال بالعيد الصغير الذي يأتي بعد الاحتفال برمضان، كذلك عيد الأضحى وهو أكبر الأعياد يطلب عليه "قربان بيرامي" ومعناه الحرفي هو عيد المسلم الكبير للتضحية[5]. وفيما يلي توضيح للطقوس التي مارسها المجتمع الجزائري احتفالاً بهذه المناسبة العظيمة.

أ- الاحتفال بعيد الفطر:

بعد ثبوت رؤية الهلال ثبوتاً شرعياً يخرج الناس زكاة فطرهم، وفي اليوم الأول من العيد يذهب الناس لأداء صلاة العيد بالمساجد بحيث أن القاضي يكون أول الصف وبجانبه الباشا، بعد الانتهاء من الصلاة فإن الإمام يحثهم على اتقاء الله وشكره وتطبيق تعليماته، واعداً إياهم بالخير في الدنيا وتوبة الله في الآخرة ثم يقع التغافر والتزاور بين الأقارب[6].

ويتوجه أصحاب الطرق في اليوم الثاني والثالث لزيارة الأضرحة ويرتدي الأهالي في أيام العيد الثلاثة أجمل ما لديه من ألبسة بحيث يرتدي الأطفال في هذه الأيام الثياب المطرزة بالخيوط كالذهب والفضة والسراويل المصنوعة من الصوف أو القطن مما يجعل منظرهم في منتهى الروعة أما النساء والفتيات

---

[1] نجاة العجال، المرجع السابق، ص70.
[2] المرجع نفسه، ص70.
[3] هاينريش فون مالتسان، المرجع السابق، ص65.
[4] وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة عبد القادر زياد, دار القصبة , الجزائر , 2006 م, ص100.
[5] هاينري فون مالتسان، المرجع السابق، ص118.
[6] نجاة العجال، المرجع السابق، ص71.

المحجبات فلا يقل عددهن في الشارع والميادين العامة صبيحة العيد عن عدد الرجال وفي الشوارع يعانق الرجال معارفهم ويرش الأطفال الأوربيين بماء الورد تحيةً لهم كما يقضي الأطفال صبيحة هذا اليوم جل أوقاتهم في اللعب بباب الواد أين ما توجد عجلة لعجوز تركي فيركب عليها الأطفال والفرحة تملأ محياهم، أما أبناء الأغنياء فيركبون عربات يقودها الزنوج أو البساكرة[1].

ب- الاحتفال بعيد الأضحى:

يقع عيد الأضحى في العاشر من ذي الحجة واليوم الذي قبله أي التاسع من الشهر هو عرفة، الكثير من الناس يصومونه ومن الأمثال العامية التي قيلت في هذا اليوم: "ما يأكل عرفة غير الكرفة"، تخرج بنات المساكين لسؤال الصدقة وهن ينشدن[2].

وفي هذا العيد يتم ذبح الخرفان وأكل لحومها بصفة فردية أو جماعية، وقد شبه هابنسترايت هذا العيد بعيد الفصح لدى اليهود، فذكر أن المسلمون يحيون هذه المناسبة إجلالاً لذكر إبراهيم بالخروف بدل ابنه إسماعيل تقرباً إلى الله تعالى ورد ذلك في القرآن الكريم[3].

وفي صبيحة يوم العيد الكبير تطلق المدفعية طلقات الاحتفال ببيرام – العيد الكبير- الذي يدوم ثلاثة أيام في المدينة وسبعة أيام في القرى، ففي يوم العيد وبعد الفراغ من الصلاة والخطبتين يذبح الإمام أضحيته بيده خارج الجامع الكبير عند باب الضحية ويراه المصلون ثم يذهبون إلى ديارهم لذبح أضحيتهم وبعدها يقع التزاور والتغافر[4].

وذكر هايدو أن النساء في الجزائر يحتفظن بشيء من دم الأضحية ظناً منهن أنه مقدس، وبعض المسلمين من شدة إيمانهم يطلقون جباههم بدم الأضحية وإذا قيل لهم كيف وفي أي وقت قد الله هذه الكباش يجيبون أن الله أرسل لكل كبش ملكاً يقدسه أثناء نحره، ويظنون أيضاً أن أذن كبش الأضحية ينبغي أن تكون طويلة حتى تغطي عينه وإلا بطل نحره[5].

بعد نحره يدهنون جزرته بالزعفران ويتركونه لمدة ثلاثة أيام ثم يتصدقون بجزء منه على الفقراء والمساكين ويأكلون الباقي كما يتركون جزءاً منه يستعملونه قديداً بعد تجفيفه في الشمس ويعتبرون هذا شيئاً مقدّس، كما أنه بعد ذبح الأضحية في وسط فناء البيت يقطع جزاءً منها للشواء مع العائلة ويوزع الباقي على الفقراء.

ولصبيحة العيد أجواء رائعة كالعادة حيث يجتمع كل المدرسين مع شيوخهم وعلمائهم في المدينة بالجامع الكبير ومنه يتشكل موكب يجوب الشوارع يحمل كل منهما مشعلاً في يده ويرددون مديحاً دينياً في حق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم- ويحمل اثنان منهم هرماً على أكتافهم محلى بالأكاليل من الورد متبوعاً بزنار صوتي وموسيقى آلية تبعاً للنمط التركي، كما تزين جميع البيوت الواقعة في وزوايا الشوارع بقماش النجود وتشعل المصابيح، كما تشترك في هذا الاستعراض العديد من الفرق الخاصة بالإدارة الحاكمة ويبدأ ذلك مع الساعة السابعة صباحاً حتى الحادية عشر نهاراً وينتهي الاستعراض بمدح الرسول – صلى الله عليه وسلم- أمام أبواب الكبار من الحكومة، وتبقى الأنوار مشتعلة منتصف الليل في كل دار[6].

---

(1) أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص118.

(2) محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص378.

(3) هابنسترايت، رحلة العالم الألماني، ج. أوز هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، 1732م، ترجمة ك. ناصر الدين سعيدوني، ودار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ص79.

(4) محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص378.

(5) نجاة العجال، المرجع السابق، ص74-75.

(6) جيمس ويلسن ستيفن، الأسرى الأمريكان في الجزائر، 1785-1797م، ترجمة: علي تابلت، منشورات تالة، الجزائر، 2007م، ص248.

إلى جانب الاستعراضات يحتفل الأهالي خارج باب الواد ببعض الألعاب خاصةً الأرجوحة والأحصنة الخشبية التي يستمتع بها الأطفال وهي شبيهة بما كان يقام بمعارض فرنسا، كما تزيد منارات المساجد بالإضاءات ليلاً خلال فترة هذه الاحتفالات وتبقى المقاهي مفتوحةً حتى الواحدة أو الثانية صباحاً[1].

رابعاً: الاحتفال بخروج ركب الحج وعودته:

يعد الحج فريضة من أهم الفرائض الدينية عند المسلمين وهي في نفس الوقت مناسبة اجتماعية هامة لها خصوصيات في الجزائر العثمانية، وكل المسلمين في العالم لديهم موعد يلتقون فيه لأداء هذه الفريضة[2].

عندما يحين وقت الحج يقوم الداي باستدعاء المجلس العلمي لمدينة الجزائر الذي يعقد اجتماعياً احتفالياً رسمياً يشارك فيه وكيل الحرمين الشريفين الذي يسلم للمفتي الصدقات المخصصة لفقراء المدن المقدسة – مكة – والمدينة – المحددة بـ2000 محبوب والتي تزداد قيمتها مع هبات كبار موظفي الإيالة[3].

وقد كانت رحلات الحج غالباً ما تكون فيها أحد العلماء أو طلبة العلم إضافةً إلى أداء الفريضة كانوا يتلقون العلم في طريقهم أينما نزلوا عند شيوخ المدن التي يمرون عليها، كما كانوا يُدوّنون حياة هذه المدن بالتفصيل كما شاهدوها لذلك كانت الرحلات من أهم المصادر لكتابة التاريخ، ومن أشهر رحلات العلماء في الجزائر في العهد العثماني رحلة "الحسين الورثلاني" في القرن الثامن عشر التي وصف فيها الحجاز وصفاً جغرافياً كما نقل فيها الحياة اليومية والحالة الاقتصادية والمعاشية وأسلوب الحكم والعادات ومستوى الثقافة، ورحلة "أبو راس الناصري" الذي أدّى فريضة الحج مرتين سنة 1790م/1712م فكانت رحلته علمية أكثر منها دينية مما التقى بالعديد من العلماء ووصف فيها كذلك البلدان التي أتيحت له الإقامة فيها[4].

جرت العادة عند الحج يتم تجمع الحجاج في مكان واحد في أحد المناطق حيث يودعونهم الأهالي بالدعاء والتهليل حتى تسير القافة، ثم ينزلون في المناطق الأخرى أين ينتظرونهم حجاجها وهكذا حتى يكتمل عدد القافلة المتفق عليه من قبل وتنطلق إلى البيت الحرام فتأخذ عدّة أشهر لذلك، ومن الأمثلة على ذلك نجد رحلة "المصعبي" حيث انطلقت رحلته من مسقط رأس الشيخ أبي بحمان من بني يزقن إلى غرداية حيث مقام الشيخ حمو الذي يزار للتبرك فاجتمعت القافلة فشُيع مع مرافقيه بالأدعية المباركة كما جرت العادة ولا تزال إلى اليوم في كل قرى مزب، حيث يشيع الحجاج من أحد الأماكن المباركة بالدعاء والتهليل ويستقبلون عند عودتهم كذلك بتلك المظاهر البهيجة، أما حجاج تلمسان فيخرجون من باب تلمسان ويقومون بزيارة أولياء المنطقة "كالسنوسي" ثم يصلون إلى مدينة الجزائر لأخذ الإذن من أهل ديوان ثم يزورون عدد آخر من الأولياء الصالحين بمن يقتدون بهم في حياتهم ويلتمسون بهم خيراً في سير حياتهم في حين منطقة ورتيلان كما ذكر الورتيلاني فإن الحاج بعد الانتهاء من الصلاة يقوم بزيارة أهل البيت والخدم والجيران ومن أتى يودعه ثم يسير الركب، هكذا جرت عادة الانطلاق في معظم البقاع الجزائرية[5].

أما بعد رجوع ركب الحجاج من البقاع المقدسة فيتوجهون لزيارة الأضرحة فمثلاً بتلمسان يتوجه الحاج إلى ضريح "سيدي الداودي بن نصر" مصحوباً بذويه وأصدقائه للقيام بمراسم الزيارة، ثم يتوجه بعد ذلك إلى ضريح "سيدي أبي مدين" بدار العباد للقيام بمراسم الزيارة أيضاً، ويقضي ليلته تلك بالضريح الذي تقام به حفلة مشتملة على تلاوة القرآن وذكر الله وإطعام الفقراء والمساكين وكل من حضر للسلام

(1) نجاة العجال، المرجع السابق، ص75.
(2) المرجع نفسه، ص75.
(3) المرجع نفسه، ص76.
(4) حنيفي هلايلي، اوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى, الجزائر, 2008 م , ص216-218.
(5) نجارة العجال، المرجع السابق، ص77.

على الحاج[1]، وما يقام في هذا الضريح يعرف "بالوعدة" أو "زيارة الولي الصالح" لهذه المنطقة فهو بالنسبة لهم يعتبر حامي القبيلة والبلدة وقبل القيام بهذه المناسبة يعلن عنها مسبقاً من طرف البراح[2].

ففي هذا المقام ولي الناس مكانة كبيرة للقبور والأضرحة فكان العالم أو حتى الحاكم إذ مات يدفن قرب أحد أولياء مثل الحاج أحمد داي الذي قتل سنة 1697م فدفن يمين قبة الولي الصالح سيدي عبدالرحمن الثعالبي، وكذا إبراهيم باي الدولاتي المتوفى سنة 1710م فدفن قرب سيدي الكتاني[3].

وفي ضحى اليوم الثاني من قدوم الحاج من البقاع المقدسة يتوجه إلى منزله وتقام حفلة أخرى في ذلك اليوم، فيأتي فيه الأهل والأصدقاء للتسلي عليه وتقدم لهم الحلويات مصحوبة بشاي أو قهوة أو المبردات وقد يدعون إلى تناول الغذاء أو العشاء ثم ينصرفون كما يصحب الحاج معه الهدايا لأقاربه ومعارفه على قدر وسه لإدخال السرور عليهم، وفي الغد من ذلك تقع حفلة خاصة بالنساء المدعوات وتسمى "حفلة الشرق"[4].

[1] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص358.
[2] نجاة العجال، المرجع السابق، ص78.
[3] ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها، تحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م، ص 32.
[4] محمد رمضان شاوش، المرجع السابق، ص385.

الخلاصة :

ومن خلال هدا البحث يمكننا استخلاص مجموعة من النتائج تمثلت في :

1 – لقد كانت مظاهر الاحتفالات الدينية ليست مقتصرة على الجزائر بل لها جدور في الدول المجاورة كا المغرب لان الحدود لم تكن واضحة المعالم مثل الان .

2 - كان الاحتفال بحلول شهر رمضان المبارك من المناسبات الكبيرة التي يحتفل بها الجزائريون واستمره الكثير من تللك الطقوس الاحتفالية الى يومنا هدا .

3 – تأثر الجزائريون بالحكم العثماني الدي افتتحها مند مطلع القرن السادس عشر فهم شعب يحب الاسلام كثيراً لدلك تعلق بالحكم العثماني المسلم الدي كان حكم ديني ثيوقراطي وتأثر بهم وبكثير من عاداتهم حتى الوقت الحالي .

4 – وكان سكان الجزائر خلال دلك القرن يحتفلون بالحج وزيارة الاماكن المقدسة بشكل كبير جداً وكانوا يقومون بزيارة الدراويش واضرحة الصالحين في تأثر واضح بعادات الدولة العثمانية التي كانت تعفي رجال الدين والدراويش من الضرائب ومع أن الجزائر كان في دلك الوقت تحكم حكم داتي من قبل دايات الجزائر الا انها كانت العادات والقوانين العثمانية لها تأثير واضح عليها .

المصادر والمراجع

اولاً : المراجع العربية

1 – أحمد سليمان, تاريخ المدن الجزائرية, دار القصبة للنشر, الجزائر 2007 م.

2 – حنفي هلايلي, اوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني, دار الهدى,

الجزائر 2008 م.

3 – الخضر عبد لي, التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواحد, ابن النديم للنشر والتوزيع, الجزائر 2011 م.

4 – عبد الرزاق بن حمدوش, الجزائر لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال, تحقيق أبو القاسم سعد الله, المؤسسة الوطنية للفنون المطبوعة, الجزائر 1983 م.

5 – أبو العبد دودو, في مؤلفات الرحالين الالمان 1830 – 1855 , المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر 1989 .

6 – محمد رمضان شاوش, باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة بن مزبان, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر 1995 م.

7 – ابن المفتي حسن رجب شاوش, في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها, تحقيق فارس كعوان, بيت الحكمة, الجزائر 2009 م.

8 – فرج محمد فرج, إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر 1977 م.

المراجع : المعربة

1 – جيمس ويلسن ستيفن, الاسرى الامريكان في الجزائر 1785 – 1797 , ترجمة علي تابلت, منشورات تالة, الجزائر 2007 م.

2 – هابنستر ايت, رحلة العالم الالماني ج اوز هابنستر ايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1732 م, ترجمة ناصر الدين سعيدون, دار الغرب الاسلامي, تونس 2008 م.

3 – هاينريش فون مالتسان, تلات سنوات في شمال غرب افريقيا, ترجمة أبو العيد دودوا, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر 1980 م.

4 – وليام اسبسر, الجزائر في عهد رياس البحر, ترجمة عبد القادر زياد, دار القصبة, الجزائر 2006 م.

الرسائل الجامعية :

1 – نجاة العجال, الطقوس الاحتفالية في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني 1518 – 1830 , رسالة ماجستير غير منشورة, كلية العلوم الاجتماعية , جامعة الوادي, الجزائر 2013 – 2024 م.